

سلسلة شروح التوحيد

# الرسنا الأصنع

## فلي شرح

# القول بعد الأربعة

تأليف

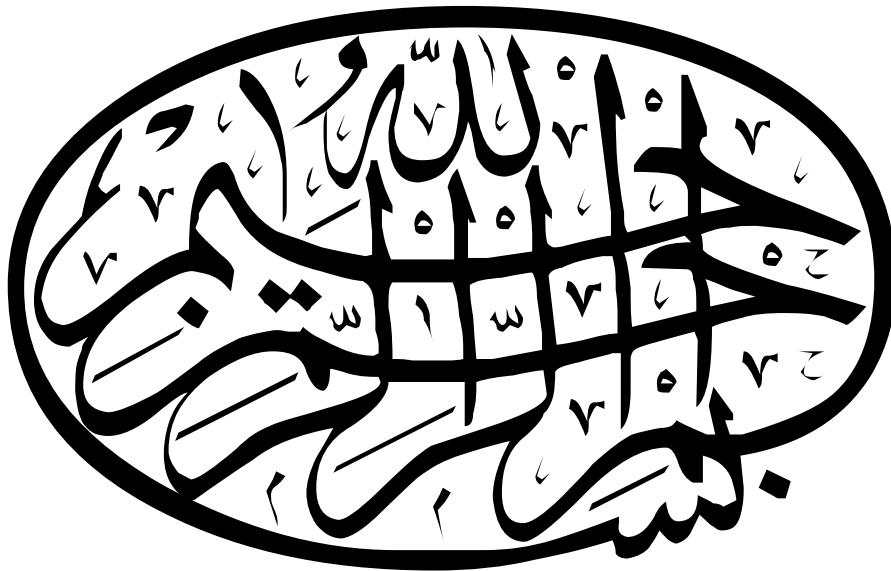
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي  
رحم الله

شرحها

أبو عكرمة وليد بن فضال المولى الخالدي



قال أبو بكر بن سيرين: (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ وَجِبَ أَنْظَرُهَا فَهَنْ أَفْهَمُهَا وَبَسْطُهَا) [مقدمة صحيح مسلم]



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فهذا شرح ميسر على القواعد الأربع؛ التي ألفها شيخ الإسلام ومجدد ملة إبراهيم عليه السلام، محمد بن عبد الوهاب رحمته الله تعالى وأجزل له الأجر والثواب وأدخله الجنة بغير حساب، وأصل هذا الشرح دروس كنت قد ألقيتها على إخواننا من طلاب العلم فقاموا -جزاهم الله خيراً- بتفريغها وطباعتها وعرضها عليّ، فقامت بتصحيح ما وقع فيها من أخطاء، وأضفت إليها بعض الإضافات والله عجل أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يرزقنا الإخلاص له في جميع أمرنا، إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين .

## شرح القواعد الأربع

**قوله: [القواعد] لفّة:** القواعد جمع قاعدة، وهي أسفل الشيء وأساسه.

**واصطلاحاً:** حكم أغلبيّ ينطبق على جميع جزئياته لتعرف أحكامها منه.

**قوله: [الأربع]** وهذا بيان لعددّها، والعدّ وسيلة نبويّة تعليميّة، قال النبي ﷺ: «اثنان

في الناس هما بهم كفر»<sup>(١)</sup>، وقال «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»<sup>(٢)</sup>، فإذا قيل لك: كم عدّها؟ فقل: أربع قواعد، ومراد الشيخ هنا المعنى اللغوي لا الاصطلاح، فسمّاها بالقواعد لأن من فهمها وحفظها كانت له أساساً في معرفة وفهم معنى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، ومعرفة وفهم الدين الذي جاء به المرسلون، وهو التوحيد فيتّبع، ومعرفة وفهم الدين الذي كان عليه المشركون، وهو الشرك فيجتنب، وقد صرح الشيخ بهذا كما في الدرر (٢/٢٧): (فهذه أربع قواعد ذكرها الله في محكم كتابه، يعرف بها الرجل شهادة أن لا إله إلا الله، ويميز بها بين المسلمين والمشركين، فتدبرها، يرحمك الله، وأصغ إليها فهمك، فإنها عظمة النفع)، وقال أيضاً في الدرر (٢/٣٣): (هذه أربع قواعد من قواعد الدين، يميز بهن المسلم بين مذهب المسلمين من مذهب المشركين).

**أما مؤلفها:**

فهو الإمام المجدّد أبو الحسين محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عليّ التميمي النجديّ، المولود بالعيّنة عام ١١١٥ هـ، والمتوفى بالدرعية عام ١٢٠٦ هـ.

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث أنس رضي الله عنه.

**المنن**، قال المؤلّف رحمه الله: [بسم الله الرحمن الرحيم، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولّاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أنّ الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاةً إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحديث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهمّ ما عليك معرفة ذلك، لعلّ الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه].

# الشرح

ابتدأ الشيخ رحمته الله هذه الرسالة المباركة بالبسملة وذلك لأمر هي :

**أولاً :** تأسيساً بكتاب الله عجل حيث جاءت البسملة في بداية كل سورة من سور القرآن عدا سورة براءة .

**ثانياً :** لأن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، فطريق التأسّي به الافتتاح بالبسملة .

**ثالثاً :** تأسيساً بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلم حيث كان يبدأ مكاتباته ومراسلاته بالبسملة ، كما جاء في صحيح البخاري في كتابه إلى هرقل وفيه : «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى»<sup>(١)</sup> الحديث .

**رابعاً :** التبرك والاستعانة بالبداة باسم الله عجل .

**خامساً :** اتباعاً للسلف الصالح رضوان الله عليهم كما هو صنيع الإمام البخاري رحمته الله في صحيحه .

**نبيه :** درج كثير من أهل العلم عند شرحهم للبسملة على إيراد حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أقطع»<sup>(٢)</sup>، تعليلاً للبداة بالبسملة، وهذا تعليل بالضعيف، والتعليل بالضعيف عليل، وآفة هذا الحديث كما قال العلامة الألباني رحمته الله في "إرواء الغليل" (١/ ٢٩) : (وهذا سند ضعيف جداً، آفته ابن عمران هذا، ويعرف بابن

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الجندي ترجمه الخطيب في "تاريخه" (٥ / ٧٧) وقال: كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه؛ يعني التشيع).

\* استهلّ الشيخ رحمته الله هذه الرسالة المباركة بمقدمة، وهذه المقدمة قد اشتملت على أمور :

**الأول:** الدعاء لطالب العلم.

**الثاني:** بيان ملّة إبراهيم .

**الثالث:** بيان الغاية من خلق الخلق .

**الرابع:** بيان التوحيد وأهميته.

**الخامس:** بيان الشرك وخطره وضرره.

وهاك بيان ذلك :

**أولاً : الدعاء لطالب العلم .**

قوله : (أسأل الله الكريم رب العرش العظيم...) ، بدأ الشيخ رحمته الله بالدعاء لطالب العلم متأسيًا في ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان من هديه وسنته أن يدعو لطلبة العلم، كما جاء في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع»<sup>(١)</sup>، وقال في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقّهه في الدين وعلمّه التأويل»<sup>(٢)</sup>، ودعاء الشيخ رحمته الله لطلبة العلم دليل على حرصه على هداية الناس وإرادة الخير لهم وأنه حريص على سعادتهم ونجاتهم، والشيخ هنا يجمع لطالب العلم بين فائدتين، الأولى : يدعو له ، والثانية : يعلمه ، والتعليم أيضًا من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ودليل ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم قضى حياته كلّها في العلم والتعليم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ

(١) أخرجه أبو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت ، وابن مسعود وغيرهما، وصححه الإمام الألباني رحمته الله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو صحيح، وأصله في البخاري.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]،  
وقال أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وأوصى بطلبة العلم فقال: كما في حديث أبي سعيد  
الخدري رضي الله عنه: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً بوصية رسول الله  
صلى الله عليه وسلم واقنؤهم» <sup>(١)</sup> قلت للحكم، ما اقنؤهم، قال: علّموهم، وفي دعاء الشيخ هذا بيان لبعض  
آداب الدعاء:

**الأول: الثناء على الله بين يدي الدعاء:** فإن قال قائل: ما الدليل على أن الثناء على الله بين

يدي الدعاء من آدابه؟

قلنا: الدليل سورة الفاتحة، وأيضاً الحديث الذي أخرجه الترمذي عن فضالة بن عبيد

رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد إذ دخل رجل فصلّى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال صلى الله عليه وسلم  
«عجلت أيها المصلّي، إذا صليت فاعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصلّ عليّ ثم ادعه» <sup>(٢)</sup>، الحديث.

**الثاني: سؤال الله بربوبيته:** فإن قال قائل: ما الدليل على أن سؤال الله بربوبيته من آداب

الدعاء؟

قلنا: الدليل في دعاء الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ

لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي

وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال تعالى عن موسى عليه السلام:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، وحسنه الألباني رحمته الله.

(٤) أخرجه الترمذي وغيره، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه وجاء عن غيره، وصححه الألباني رحمته الله.



أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿يونس: ٨٨﴾، وقال تعالى عن يوسف **عليه السلام**: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١] وغير ذلك.

والسر في سؤال الله بربوبيته أن فيه إظهاراً للانكسار والذل والفقر والحاجة، وأن العبد يسأل من بيده أزمنة الأمور.

**الثالث: سؤال الله بأسمائه وصفاته:** والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، و(الكريم) من أسماء الله، والدليل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الإنفطار: ٧].

**الرابع: سؤال الله بربوبيته للعرش:** والدليل قول النبي **صلى الله عليه وسلم** في دعاء الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم»<sup>(١)</sup>، و(العرش): أعظم المخلوقات، وهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

قوله: (أن يتولأك في الدنيا والآخرة)، هذا دعاء من الشيخ **رحمته الله** لطالب العلم بأن يتولاه الله في الدنيا والآخرة.

### والولاية والابتنان:

**الأول: ولاية الله للعبد:** وهي أن يجلب له المنافع ويدفع عنه المضار، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى

(١) أخرجه البخاري ومسلم، من حديث ابن عباس **رضي الله عنهما**.

أُظْلِمَتْ أُوتِيكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٥٧﴾، فقوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ فيه إشارة إلى دفع المضار، وقوله: ﴿إِلَى النُّورِ﴾ فيه إشارة إلى جلب المنافع.

وولاية الله للعبد ثمرة لولاية العبد لربه ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، والباء في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا﴾ سببية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، والشاهد قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، والصالحون: جمع صالح: وهم الذين أقاموا ظواهرهم وبواطنهم على وفق ما أراد الله ورسوله فهو لاء لما تولوا الله بصلاح العقائد وصلاح العبادة وصلاح الأخلاق تولاهم الله تبارك وتعالى .

**الثانية: ولاية العبد لله:** وهي الدوران مع أوامره ونواهيه فعلاً وتركاً، قال النبي ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»، رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومعنى: (أن يتولأك في الدنيا والآخرة) أن يجلب لك المنافع الدنيوية والدينية، وأن يدفع عنك المضار الدنيوية والدينية، وهذا دعاء بجوامع الكلم، وهي دعوة ما تركت خيراً إلا شملته، ولا شراً إلا عمته، والدعاء بجوامع الكلم من هديه ﷺ وسنته، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك <sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألباني رحمته الله.

ومنه وقوله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»<sup>(١)</sup>، ومنه

قوله لعائشة رضي الله عنها في دعاء ليلة القدر: «اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني»<sup>(٢)</sup>.

قوله: (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ).

**البركة:** ترجع إلى أحد معنيين بحسب اشتقاقها، فإن قلنا: أنها مشتقة من البركة (مجمع الماء)،

فمعناها حينئذ الزيادة والنماء، وإن قلنا: أنها مشتقة من بُرُوكِ البعير؛ فمعناها حينئذ: الثبات

واللزوم، فيكون معنى قوله: (أَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ): أي أَنْ يَجْعَلَكَ ثَابِتًا عَلَى الْحَقِّ مَلَاذِمًا

له فِي زِيَادَةِ وَنَمَاءٍ مِنْهُ، وَأَخَذَ هَذِهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ﴾<sup>(٣٠)</sup>

وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ﴾<sup>(٣١)</sup> [مريم: ٣٠-٣١]، والشاهد

قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، أي فِي حَلِّكَ وَتَرْحَالِكَ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَهَذِهِ الدَّعْوَةُ أَيْضًا مِنْ

جَوَامِعِ الدَّعَاءِ فَمَنْ نَالَته هَذِهِ الدَّعْوَةُ حَصَلَ لَهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ.

قوله: (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ).

مراد الشيخ رحمته الله من هذا الدعاء أَنْ يَنْبَغَ طَلِبَةُ الْعِلْمِ إِلَى أَنْ الْعَبْدُ لَا خُرُوجَ لَهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِي

أَوْقَاتِهِ كُلِّهَا، فَمَا مِنْ حَالٍ يَكُونُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ إِلَّا وَلِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهَا عِبَادَةٌ وَعِبُودِيَّةٌ يَجِبُ أَدَاؤُهَا، وَهَذِهِ

الْأَحْوَالُ تَسْتَغْرِقُ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ كُلِّهَا، وَعَلَى هَذَا فَالشَّيْخُ رحمته الله يَدْعُو لَكَ أَنْ تَكُونَ مَلَاذِمًا لَطَاعَةِ اللَّهِ

مُؤَدِّيًا لِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا.

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألباني رحمته الله.

## الشُّكْرُ

قوله: (وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ).

هذا دعاء من الشيخ لطالب العلم أن يوفقه الله للشُّكر عند العطاء، والشُّكر عبادةٌ عظيمةٌ، وهي دأب الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[النحل: ١٢٠-١٢١]، والشُّكر مع كونه عبادة فهو سبب في زيادة النعم وبقائها قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وعدمه سبب في زوال النعم قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، والشاهد من الآية: أن الله تبارك وتعالى من على هذه القرية بنعمتين عظيمتين هما قِوامُ الحياة: (الأمن والرزق)، فلما لم يقوموا بالشُّكر بدل الله حالهم وغير أوضاعهم، وهذه سُنة الله في خلقه، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فجعل الله الجوع بدل ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾، والخوف بدل ﴿ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾، ويُن الله السبب في ذلك فقال تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ، والباء سببية، و(ما) موصولة بمعنى (الذي)، والمعنى بسبب الذي كانوا يصنعون.

قال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمته الله في الدرر السنية (١/ ٤٦٣): (والشُّكر قِيدُ النعمة، إن شُكرت قرَّت وإن كُفرت فرَّت).

**تعريف الشكر:** الشكر لغة: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان.

وشرعاً: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً، ويظهر من التعريف أن موارد الشكر ثلاثة، كما قال الشاعر:

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً      يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرُ الْمُحَجَّبَا

فاليد: إشارة إلى الجوارح، والضمير المحجّب: القلب، فالشكر يكون بالقلب شهوداً ومحبةً، وباللسان ثناءً واعترافاً، وبالجوارح طاعةً وانقياداً.

**وأركان الشكر ثلاثة:**

١- الاعتراف بالنعمة      ٢- إضافتها للمنعم      ٣- صرفها في طاعة المنعم

قال تعالى حاكياً عن سليمان **عليه السلام**: ﴿فَنَبَسَسَ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، فقوله: ﴿نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ فيه الاعتراف بالنعمة وإضافتها للمنعم، وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فيه صرفها في طاعة المنعم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله **رحمته الله** في تيسير العزيز الحميد (ص ٥٤٤): (وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدّى حق الله فيها، فاستحقّ الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة؛ التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يجب).

وقال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن **رحمته الله** كما في الدرر السنية (١/ ٤٦٢): (ومبنى الشكر على ثلاثة أركان: معرفة النعمة وقدرها، والثناء بها على مُسْديها، واستعمالها في ما يحبُّ موليها ومُعطيها، فمن كملت له هذه الثلاثة، فقد استكمل الشكر، وكلما نقص العبد منها شيئاً، فهو نقص في إيمانه وشكره، وقد لا يبقى من الشكر ما يعتدُّ به ويثاب عليه).

## الصَّبْرُ

قوله : (وَإِذَا ابْتَلَى صَبْرًا).

هذا دعاء آخر من الشيخ رحمته الله لطالب العلم بأن يُوفَّقَ لأداء عبادة الصبر عند البلاء، والصبر عبادة أمر الله بها نبينا محمداً صلوات الله عليه وآله، قال رحمته الله : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧]، والأمر له صلوات الله عليه وآله أمر لنا؛ بل إن الله تعالى أمرنا أمراً مستقلاً، قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

### تعريف الصبر :

والصَّبْرُ لغة : الحبس ، ومنه ( قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا ) : أي حبسًا .

وشرعاً : حبس القلب واللسان والجوارح على طاعة الله وعلى أقدار الله وعن معصية الله .

ويظهر من التعريف أن الصبر يكون على ما أمر الله به من الطاعات حتى تُؤدَّى، وصبرٌ على المحرمات فتترك، وصبرٌ على أقدار الله بكفِّ النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن كل عمل يدلُّ على عدم الرضى والتسليم.

### وينقسم الصبر إلى قسمين :

١- صبر محمود: وهو ما مضى بيانه، قال تعالى : ﴿ يَبْنِىْ اَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَانَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] .

٢- صبر مذموم: وهو حبس القلب واللسان والجوارح على أضداد ما مضى، قال تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنْطَلِقُ لُمَاءُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص: ٦]، وقال تعالى : ﴿ إِنْ كَادَ

لِيُضِلُّنَا عَنْ إِلَهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ [الفرقان: ٤٢].

### والصبر بحسب ما يُعدى به ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- **صبر بالله:** والمراد به الاستعانة بالله على الصبر، والتبرؤ من الحول والقوة، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، والمعنى: لا معين لك على الصبر إلا الله فاطلب الصبر منه، وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، وقال النبي ﷺ: «وما أعطى الله أحداً من عطاءٍ أوسع من الصبر»<sup>(١)</sup>.

٢- **صبر لله:** والمراد به الإخلاص في الصبر بأن يريد بصبره وجه الله وثوابه، قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

٣- **صبر مع الله:** أي مع أمره ونهيه، فيصبر حتى يمتثل أمر الله، ويصبر ليجتنب ما نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

(١) رواه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

## الاستغفار

قوله: (وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ).

وهذا دعاء من الشيخ رحمته الله لطالب العلم أن يوفقه الله للاستغفار عند مواجهة الذنوب، والاستغفار: هو طلب المغفرة من الله.

**والمغفرة:** هي ستر الذنب وإزالة أثره، ومنه سُمِّيَ الْمَغْفَرُ مَغْفَرًا؛ لَأَنَّهُ يَسْتُرُ الرَّأْسَ وَيَقِيهِ الضَّرْبَ، فَاَلْمَغْفِرَةُ سِتْرٌ وَوَقَايَةٌ.

وهذه الدعوات الثلاث يجمعها لك قوله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»، فَالشُّكْرُ يَكُونُ عِنْدَ السَّرَّاءِ، وَالصَّبْرُ يَكُونُ عِنْدَ الضَّرَّاءِ، فَإِذَا حَصَلَ تَقْصِيرٌ فِي الْأَمْرَيْنِ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا جُبِرَ بِالِاسْتِغْفَارِ.

قوله: (فَإِنْ هُوَ لَاءِ الثَّلَاثِ عُثْوَانُ السَّعَادَةِ).

مراده من هذه العبارة رحمته الله أَنَّ مَنْ وُفِّقَ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ كَانَ هَذَا دَلِيلَ سَعَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قوله: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ : أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ : أَنَّ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ...).

فقوله: ( اعْلَمْ)، كلمة يؤتى بها للدلالة والتنبيه على أهمية ما سيأتي بعدها، وهي أمر بتحصيل العلم وأسبابه، فإذا سمع طالب العلم هذه الكلمة فينبغي عليه أن يكون حاضرًا بسمعه وقلبه وجميع حواسه؛ لما سيلقى بعدها من مهمات الأمور والعلوم.



قوله: (أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ).

جملة دعائية، قوله: (أَرْشَدَكَ)، أي أهلك رشدك وهداك، والرشد والهدى كالإسلام والإيمان، إذا اجتمعاً لفظاً افتراقاً معنًى، وإذا افتراقاً لفظاً اجتماعاً معنًى، فالهدى هو العلم بما ينفع، والرشد العمل به .

قال ابن القيم رحمته الله في الإغاثة (٢/ ١٦٨): (فإن الرشد هو العلم بما ينفع، والعمل به، والرشد والهدى إذا أفرد كل منها تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما فالهدى هو العلم بالحق، والرشد هو العمل به، وضدهما الغي واتباع الهوى).

## و الهداية نوعان:

١- هداية الدلالة والبيان : ومعناها بيان سبيل الخير وسبيل الشر كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْتُهُ

النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(١)</sup> [البلد: ١٠]: أي وضحنا وبيننا طريقي الخير والشر، وهذه عامّة تضاف لله ﷻ ولرسوله

وللعلماء والدعاة إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ ﷻ

[فصلت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٥٢)</sup> [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢٤)</sup> [السجدة: ٢٤]، وقال

تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] .

٢- هداية النوفيق و الإلهام : وهذه خاصة بالله تعالى، فهو وحده ﷻ الذي يهدي قلوب عباده

للاستقامة على دينه وعلى طاعته، وقد نفى الله ﷻ هذه الهداية عن نبيه ﷺ، وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٥٦)</sup> [القصص: ٥٦]، فإذا

كانت هذه الهداية منتفية عن النبي ﷺ فغيره من باب أولى، والله ﷻ قد جعل هذا النوع من

(١) قال أكثر المفسرين : (إننا هديناه السبيل، أي بينّا له سبيل الحقّ والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر، إما شاكراً وإما كفوراً، إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقيّاً)، تفسير البغوي (٨/ ٤٣١) .

الهداية من أدلة استحقاقه ﷺ للعبادة وحده دون ما سواه، فهو وحده الذي يملك هداية القلوب.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

### إشكال :

قوله : (أرشدك الله لطاعته... )، فيه إشكالٌ موره ما أخرجه الترمذي من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه»<sup>(١)</sup>.

### والجواب على هذا الإشكال من وجهين :

**الأول :** أن الأمر في ذلك واسعٌ فقد ثبت عن النبي ﷺ في غير ما حديث أنه دعا لغيره ولم يدع لنفسه كما في دعائه لابن عباس رضي الله عنه، قال: «اللهم فقّههُ في الدين، وعلمهُ التَّأْوِيلَ»<sup>(٢)</sup>، و قال: «رحم الله موسى قد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر»<sup>(٣)</sup>، وقال : «رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركنٍ شديد»<sup>(٤)</sup>.

**الثاني :** أن الدعاء للغير دعاء للنفس لقول النبي ﷺ : «إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب، قالت الملائكة: آمين، ولك بمثل»<sup>(٥)</sup>.

قوله : (لِطَاعَتِهِ)، الطَّاعَةُ امتثال الأمر وترك النَّهْي اختياراً، وهذا الدُّعَاءُ يجمع لك أنواع الهداية، يعني وفَّقك للعلم بطاعته وللعمل بها والاستقامة عليها.

(١) أخرجه الترمذي وغيره من حديث أبي ابن كعب رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمته الله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنه وأصله في البخاري.

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الحاكم، وحسنه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمته الله.

قوله: (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) أي طريقته ودينه، والمِلَّة: الدين، وهذه المِلَّة أمر رسولنا ﷺ باتّباعها.

قال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، والأمر له أمر لأمرته، بل قد أمر الله الأمة أمراً مستقلاً قال ﷻ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

بل بيّن الله ﷻ أنه لا يرغب عنها إلا السفهاء قال تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].  
**الحنف لغة:** الميل، وقيل الاستقامة، والمعنيان متلازمان، ومنه قول أم الأحنف بن قيس:  
 وَاللَّهِ لَوْ لَا حَنْفٌ بِرِجْلِهِ مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ .

**وشرعاً:** له عدة تعريفات هي :

**الأول:** هو الإقبال على الله والإعراض عما سواه .

**الثاني:** هو القيام بالتوحيد والترك للشرك والتنديد .

**الثالث:** هو الميل عن الشرك قصدًا للتوحيد .

**الرابع:** هو معنى : لا إله إلا الله .

**الخامس:** هو تعريف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : ( أن تعبد الله مخلصاً له الدين ) .

وهذه العبارات مختلفة في ألفاظها متفقة في معانيها وقد جاءت كثير من الآيات تحمل هذا المعنى،

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وقوله تعالى حاكياً عن يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾

[يوسف: ٣٧-٣٨]، فقوله: ﴿مَا كَانَتْ﴾ في الآية ، تأتي على معنيين :

**الأول: النفي.**

**الثاني: النهي.**

قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]).

﴿مَا﴾: نافية، و﴿خَلَقْتُ﴾: أوجدت من العدم، و﴿الْجِنَّ﴾: عالم غيبي مخفي عنّا، ومادة الـ(جيم والنون) في لغة العرب تدل على الخفاء والاستتار، تقول: جنّ الليل: إذا ستر الأشياء بظلامه، والمجنون: لاستتار عقله، والجنين: لاستتاره بطن أمّه، والجنّة لاستتار ما بداخلها بالأشجار، و﴿وَالْإِنْسَ﴾: المراد بهم بنو آدم وسُمّوا إنسًا من الإيناس وهو الرؤية والإحساس، وقد قدّم الله الجنّ على الإنس لتقدّم خلقهم قال تعالى ﴿وَلَجَّأَنَ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، و﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: اللام: للتعليل، والتعليل هنا للغاية بمعنى أنّ الله خلقهم لعبادته فقد يعبدونه وقد لا يعبدونه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، فقد يطاع وقد لا يطاع، وفي هذه الآية حصر الغاية من خلق الجنّ والإنس في العبادة، ووجه الحصر [الاستثناء المسبوق بالنفي]، وهذا فيه ردٌّ على من قال: (إنّ الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ)، و﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: أي ليوحدون، هذا تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد سبقه إليه البغوي<sup>(١)</sup>، وقال مجاهد: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: إلّا لأمرهم وأنهم، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا هو التفسير الراجح؛ لأن التوحيد يدخل في جملة الأوامر والشرك يدخل في جملة النواهي، وهذا هو الشاهد للحنيفيّة، والحنيفيّة: هي عبادة الله وترك ما سواه.

(١) قال البغوي في تفسيره (٤/ ٢٨٨): (وقيل إلّا ليعبدون؛ إلّا ليوحدون).

## العبادة

**العبادة لغة:** هي الذُّلُّ والخُضُوعُ؛ يقال : طريقٌ مُعَبَّدٌ : إذا كان مُدَلَّلًا بَوَطِيءِ الأقدام، ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته :

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَّبَعْتُ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ

معنى البيت: ( تُبَارِي ) : تُسَابِقُ، ( العِتَاق ) : الثُّوقُ الكرام، ( النَاجِيَات ) : السريعات، (الوظيف): عظم الساق، (المعبد): المذلل.

**وشرعاً: نعرفه باعتبارين:**

**١- باعتبار المنعبد به** (أي أفراد وأنواع العبادة): وعلى هذا الاعتبار تُعرّف بتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: وهو أن العبادة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة<sup>(١)</sup>.

**شرح التعريف:** ( اسم ) : لدخول (أل) عليها أي (العبادة)، ( جامع ) : أي يحوي ويشمل أشياء كثيرة، ( لكلِّ ما ) : ( ما ) موصولة بمعنى (الذي) تفيد العموم، ( يحبه الله ويرضاه ) : كيف نعرف بأن الله سبحانه يحب هذا الأمر ويرضاه؟ الجواب: إذا أمر به أمر إيجابٍ أو أمر استحبابٍ، أو أثنى على فاعله، أو رتب على فعله أو تركه ثواباً، قوله: ( من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ).

**والأقوال عند أهل السنة نوعان:**

**النوع الأول:** الأقوال الباطنة: والمراد بها اعتقاد القلب وتصديقه وإقراره ، والدليل حديث أسامة ابن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية، فصَبَّحْنَا الحِرَقَات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، فطعنته فوق في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَقَالَ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ،

(١) العبودية: (ص: ٤٤).

قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها عليّ حتّى تمّنت أنّي أسلمت يومئذ<sup>(١)</sup>.

**النوع الثاني :** الأقوال الظاهرة : كالتلفظ بالشهادتين، والأذان، والتلبية، وقراءة القرآن، والأذكار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر .

**وكذلك الأعمال عند أهل السنة ننقسم إلى قسمين :**

**الأعمال الباطنة :** وهي أعمال القلوب كالخوف، والخشية، والخشوع، والصدق، والإخلاص .

**الأعمال الظاهرة :** وهي أعمال الجوارح كالصلاة، والصوم، والحجّ، والزكاة، والجهاد، وإمارة الأذى عن الطريق،... الخ .

**٢- باعتبار النعبد** (أي فعل العبادة) : وتعريفها بهذا الاعتبار أن يقال: هي التذلل والخضوع لله تعالى بفعل أو أمره وترك نواهيه محبةً وتعظيمًا على وفق الشرع، قال القرطبي رحمته الله: (وسُمّيت وظائف الشرع عبادات لأنهم يلتزمون بها ويفعلونها خاضعين متذللين لله)<sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى هو الذي ذكره ابن القيم رحمته الله: في نونيته فقال:

وعبادة الرحمن غاية حبه	مع ذلّ عابده هما قطبان
وعليهما فلک العبادة دائر	ما دار حتّى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله	لا بالهوى والنفس والشيطان
فقيام دين الله بالإخلاص وال	إحسان إنهما له أصلان

قوله: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ).

(١) أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) انظر "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي (١/ ٩٦).

من أين حصلت للطالب هذه المعرفة؟ الجواب: من الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

قوله: (فاعلم أن العبادَةَ لا تُسمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ).

مراد الشيخ رحمته الله بيان أهمية التوحيد، وأنه الأساس في قبول الأعمال، وأن من عبد الله بلا توحيد بمنزلة من لم يعبد الله، لأن كلاهما لم يفعل ما أمر به شرعاً، وهذا واضح في الذي لم يعبد الله البتة، وأما من عبد الله بدون توحيد فوجه كونه بمنزلة من لم يعبد الله البتة؛ أن الله ﷻ أمرنا بعبادة مقرونة بالإخلاص، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء: ٢٥]، فالذي لم يعبد الله البتة لم يمثل أمر الله، والذي عبد الله بدون توحيد لم يمثل أمر الله بل فعل عكس المراد، فعبد الله بعبادة مقرونة بالشرك، والله ﷻ إنما أمرنا بعبادة مقرونة بنفي الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، وفي البخاري من حديث أبي سفيان رضي الله عنه حين سأله هرقل عن النبي ﷺ، فقال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، وفي حديث وفد القيس «أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً»<sup>(١)</sup>، وفي مسلم من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك، قال: «على أن

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً»، وفي الصحيحين من حديث معاذ رضي الله عنه: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً».

ثم أتى الشيخ بمثال يريد به تقريب هذه الحقيقة إلى الأذهان؛ ألا وهو اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، فالذي يصلي بغير طهارة لا يسمى مصلياً، وفعله لا يسمى صلاةً لأنه أخل بشرط من شروط الصلاة وهو الطهارة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته: «ارجع فصل فإنك لم تصل» مع أنه كبر وقرأ وركع وسجد وأتى بأعمال الصلاة، ولكن لما فقدت صلاته ما لا تصح إلا بوجوده وهو الطمأنينة لم تُعتبر شرعاً، وكذلك الذي يعبد الله بغير توحيد فإن فعله لا يسمى عبادةً، ولا يوصف هو بأنه عابد لله.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن أبا بطين رحمته الله في الدرر (١/ ٢٩٢) في تقرير هذا المعنى: (فإن قيل: ما معنى النفي في قوله سبحانه: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، قيل: إنما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد، وقد نبه ابن القيم رحمته الله على هذا المعنى اللطيف في بدائع الفوائد، فقال لما انجر كلامه على سورة ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾، قال: وأما المسألة الرابعة، وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل، وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارةً، وباسم الفاعل أخرى.

وذلك - والله أعلم - لحكمة بديعة، وهي: أن المقصود الأعظم، براءته من معبوديهم بكل وجه، وفي كل وقت، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل، الدالة على الوصف والثبوت، فأفاد في النفي الأول: أن هذا لا يقع مني، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني، فكأنه قال: عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي ولا وصفاً، فأتى بنفيين لمنفيين مقصودين بالنفي.



وأما في حقهم، فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت، دون الفعل؛ أي: الوصف الثابت اللازم للعباد لله، منتف عنكم، فليس هذا الوصف ثابتاً لكم، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة، لم يشرك معه فيها أحداً، وأنتم لما عبدتم غيره، فلستم من عابديه، وإن عبدتموه في بعض الأحيان، فإن المشرك يعبد الله، ويعبد معه غيره، كما قال تعالى عن أهل الكهف ﴿وَإِذْ أَعَزَّلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]، أي اعتزلتم معبوديهم، إلا الله، فإنكم لم تعتزلوه، وكذا قول المشركين، عن معبوديهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون معه غيره، لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفى الوصف؛ لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتاً على عبادة الله، موصوفاً بها.

فتأمل هذه النكتة البديعة، كيف تجدد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد لله، وإن عبده، ولا المستقيم على عبادته، إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتل إليه تبتلاً، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحداً في عبادته؛ وأنه إن عبده وأشرك به غيره، فليس عابداً لله، ولا عبداً له؛ وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة، التي هي أحد سورتي الإخلاص، التي تعدل ربع القرآن، كما جاء في بعض السنن، وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه إلا من منحه الله فهماً من عنده، فله الحمد والمنة).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله في تفسيره: (قل للكافرين معلناً ومصرحاً ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهراً وباطناً، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ لعدم إخلاصكم في عبادتكم لله، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً لازماً).

ولهذا ميّز بين الفريقين، وفصّل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤]، ﴿أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آَعَمَلْ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].  
 والمثال الذي أتى به الشيخ رحمته الله أراد به التقريب، وإلّا فإنّ اشتراط التوحيد أكّد من اشتراط الطهارة للصلاة؛ لأنّ الإنسان ربّما صلّى بغير طهارة لعذرٍ ما وصحّت صلاته، وأمّا التوحيد فاعتقاد قلبيّ لا يتخلف، والشيخ كثيرًا ما يضرب الأمثلة لتقرير هذا المعنى كما في قوله رحمته الله كما في الدرر (١/ ١٥٦): (قال الله تعالى في الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وتصير عبادته كلها كمن صلّى ولم يغتسل من الجنابة، أو كمن يصوم في شدّة الحر، وهو يزني في أيام الصوم)، وقال أيضًا في الدرر (١/ ١٦٧): (المسألة الرابعة: معرفة أن محمّدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبرنا عن الله، أن أفضل الخلق من الملائكة والأنبياء، لو يجري منه الشرك من غير اعتقاد، أنه ممن حبط عمله، وحرمت عليه الجنة، فكيف بغير الأنبياء والملائكة؟! فهذه المسألة الرابعة، إن عرفت في أربع سنين فنعمًا لك، لكن تعرف أن المتوضّئ ينتقض وضوؤه بقطرة بول، مثل رأس الذباب من غير قصد، ولكن قلّ من يعرفها).

## التوحيد

**التوحيد لغة :** مصدر ( وَحَّدَ يُوحِّدُ تَوْحِيدًا )؛ ومدار المادّة على الانفراد، ومنه قولهم جاء فلان وحده؛ يعني منفردًا.

**وشرعًا:** هو إفراد الله ﷻ بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات<sup>(١)</sup>.

### أقسام التوحيد :

**١- توحيد الربوبية:** وهو إفراد الله بأفعاله، والإقرار به وحده لا يكفي في الدخول في الإسلام، وهذا النوع من التوحيد لم تقع فيه الخصومة، ولو كان الإقرار بهذا النوع يكفي لكان إبليس وفرعون وأبو جهل من جملة أهل الإيمان، وهذا النوع من أدلة وبراهين توحيد الألوهية .

**٢- توحيد الألوهية :** هو إفراد الله بالعبادة، أو إفراد الله بأفعالنا، وهذا الذي بُعثت الرسل لتقريره، وهو الذي وقعت فيه الخصومة، وهو الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، والدليل قوله تعالى : ﴿ يُزِيلُ الْمَلَكُةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢٠]، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وغير ذلك من الآيات .

**٣- توحيد الأسماء والصفات :** وهو إفراد الله بأسمائه وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

\* لم يأت دليل من القرآن ولا من السنة على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام؛ وإنما دلّ على هذا التقسيم الاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة.

(١) "القول المفيد على كتاب التوحيد" للعلامة محمد بن صالح بن محمد العثيمين رحمه الله، (١ / ١١).

والاستقراء لغة: مأخوذ من قولهم استقرأ الأمور إذا تتبعها لمعرفة أحوالها.

واصطلاحاً: هو تتبع الجزئيات للحصول على حكم كليّ، قال الأخضري في السلم:

وإن بجزئيّ على كليّ استدُلّ فذا بالاستقراء عندهم عَقْلٌ

فالعلماء تتبّعوا نصوص الكتاب والسنة، فتحصّل عندهم أنّ التوحيد ينقسم إلى ثلاثة

أقسام، ومن الآيات الجامعة لهذه الأقسام قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴿﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذا توحيد الألوهية، و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، توحيد الربوبية،

و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، توحيد الأسماء والصفات، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هذا توحيد

الربوبية، و﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾ هذا توحيد الألوهية، وفيها أيضاً توحيد الأسماء والصفات لأنّ الله

تعالى سمّى نفسه (الرّبُّ والملِكُ والإلهُ).

وقد رد أهل البدع هذا التقسيم الاستقرائي دون غيره من التقسيمات التي قلّ أن يخلو منها

كتاب، وزعموا أنه كتّليث النَّصَّاري، وشَتَّان بين الأمرين، والردُّ عليهم بما رَدَّ الله به على

أسلافهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]،

فأقسام التوحيد الثلاثة هذه راجعة إلى واحدٍ وهو الله، وتقريرها وتدريسها للناس فيه حمايةٌ

وصيانةٌ لحقه سبحانه بخلاف ما عند النَّصَّاري، فتثليثهم راجعٌ إلى آلهة ثلاثٍ، وقد قادهم هذا

التثليث إلى الشرك بالله، وجعل حقه لغيره، فكيف يُسوَّى بين النقيضين.

شَتَّان بين الحالتين إن تردّ جمعاً فما الضدّان يجتمعان

قال الشنقيطي في أضواء البيان (٣/ ١٧-١٨): (وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أنّ توحيد

الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: توحيده في ربوبيّته، وهذا النوع من التوحيد جُبلت عليه فطرُ العقلاء...

الثاني: توحيده جلّ وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾

النوع الثالث: توحيده جلّ وعلا في أسمائه وصفاته...).

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمته الله في كتابه "التحذير من مختصرات الصابوني" (ص ٣٠):  
(هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف، أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرّره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرّره الزبيدي في تاج العروس، وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين، رحم الله الجميع.  
وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطّرد لدى أهل كلّ فنّ كما في استقراء النُحاة كلام العرب، إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تُفْهَ بهذا، ولم يَعْتَبْ على النُحاة في ذلك عاتبٌ، وهكذا من أنواع الاستقراء).

### ما هي العلاقة بين أقسام التوحيد ؟

\* العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة تلازم، أي أنّ من وحد الله في ربوبيّته لزمه أن يوحدّه في ألوهيّته.

\* العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية علاقة تضمّن، أي أنّ من وحد الله في ألوهيّته تضمّن ذلك الإقرار له بالربوبية .

\* العلاقة بين توحيد الأسماء والصفات والربوبية والألوهية علاقة شمول، أي أنّ توحيد الأسماء والصفات يشمل توحيد الربوبية والألوهية .

قوله: (فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحديث إذا دخل في الطهارة).

مراد الشيخ رحمته الله من ذلك أن يُبين أنّ العبادة لا تنفع مع الشرك الأكبر، ولو صدر الشرك من أفضل الناس، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ الْخُسْرَيْنِ ﴿[الزمر: ٦٥]﴾، ففي الآية أن الشُّرك الأكبر يحبط العمل في شرعنا وفي سائر الشرائع التي قبلنا، وقوله تعالى في الآية ﴿عَمَلُكَ﴾: المراد بها كلُّ عملٍ، لأنَّ [المفرد إذا أضيف عم]، وهذه قاعدة أصولية، دَلَّ عليها قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، وقوله ﴿كَلَّا﴾ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، فـ ﴿نِعْمَتٌ﴾ مضاف، وكذلك ﴿عَبْدُهُ﴾، فلما أضيفا إلى (التاء) و(الهاء) عمَّا كلَّ النِّعم وكلَّ العباد، وفي هذه الآية خطابٌ لأفضل البشر فغيره من باب أولى، ومن الأدلة على أن الشرك الأكبر يُفسدُ العبادة قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فكما أن الرِّيح لا تُبقي من الرماد شيئاً بل تفرِّقه تفرُّقاً لا يرجى معه اجتماعه، فكذلك الشُّرك لا يُبقي من الأعمال شيئاً، فتذهب أعمالهم ولا ينتفعون بها، ولذا قال الله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [١٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: (هذان مثلاً، ضربهما الله لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ برَّبِّهم وكذبوا رسله ﴿أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ أي: بقاع، لا شجر فيه ولا نبت، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حُسبانٌ باطلٌ، فيقصده ليزيل ظمأه، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فندم ندماً شديداً، وازداد ما به من الظَّمأ، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، تُرى ويظنُّها الجاهل الذي لا يدري الأمور أعمالاً نافعة، فيغترُّ صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضاً أعمالاً نافعةً لهواه، وهو أيضاً محتاجٌ إليها، بل

مُضْطَرٌ إِلَيْهَا، كاحتياج الظَّمَان للماء، حتى إذ قَدِم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعةً، ولم يجد لها شيئاً).

ونظير هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]، والدليل على أن الشرك يخلد صاحبه في النار قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

\* تُبنى على معرفة ضرر الشرك معرفة أخرى، وقد أشار إليها الشيخ بقوله: (أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ) : أي أَمُّ ما يجب عليك، لأن (على) من صِيغ الوجوب، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، و أيضًا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

قوله: (مَعْرِفَةُ ذَلِكَ) الإشارة هنا إلى التَّوْحِيد الذي هو دينُ المرسلين، ونقيضه الشرك الذي هو دينُ المشركين، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في الدرر (١/ ١٥٩): (فأهمُّ ما عليك معرفة التوحيد، قبل معرفة العبادات كلها، حتَّى الصلاة؛ ومعرفة الشُّرك، قبل معرفة الزُّنى وغيره من المحرِّمات، إذا علمت أن الله لم يخلقك إلا لذلك؛ ومن الفرائض اللازمة: تعلُّمك إيَّاه أهل بيتك، ومن تحت يدك، من امرأةٍ، وبنْتٍ، وخادم).

قوله: (لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِيَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ).

يعني بعد الاجتهاد في طلب العلم وفي معرفة الشُّرك ووسائله المفضية إليه وبعد الدُّعاء، عسى الله أن (يُخَلِّصَكَ) أي: ينجيك، (من هذه الشبكة) التي هي الأولى من شباك الشيطان، وهي الشرك بالله، وشباك الشيطان التي يسعى جاهداً في إيقاع المسلمين فيها هي:

**الشبكة الأولى:** وهي الشرك، وهذه من دخل فيها تمت خسارته وأحاطته الهلكة،

وهي المقصود الأعظم للشيطان لأنه يضمن بذلك مصاحبة من دخلها أبد الآباد، قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

**الشبكة الثانية:** وهي شبكة البدع والمحدثات، وهذه أقلُّ خطراً من سابقتها وأعظم

ضرراً من لاحقتها.

**الشبكة الثالثة:** وهي شبكة المعاصي والكبائر، وكلا الشبكتين الثانية والثالثة : بؤابة

للسبكة الأولى، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال الإمام أحمد: (الفتنة الشرك)<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(١) أخرجه ابن بطة العكبري في "الإبانة الكبرى" برقم (٩٧).



## الشرك

**الشرك لغة:** مصدر ( أشرك، يشرك، شركًا، أو إشراكًا)، ومادة (ش ر ك) تدل على

مقارنة وخلاف انفراد<sup>(١)</sup>.

**والشرك شرعًا:** هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، أو جعل ند لله في حقه، أو مساواة غير الله بالله في حقه، أو جعل عدل لله تعالى في حقه، وهذه التعاريف مأخوذة من قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٧) ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨-٩٩]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين : قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك»، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

**وينقسم الشرك إلى قسمين :**

١- **شرك أكبر:** وهو مساواة غير الله بالله في حقه المتعلق بأصل التوحيد .

٢- **شرك أصغر:** وهو مساواة غير الله بالله في حقه المتعلق بكمال التوحيد .

**الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :**

أنَّ الشرك الأكبر يخرج من الملة، وأما الشرك الأصغر لا يخرج منها، والشرك الأكبر يخلد في النار، وأما الشرك الأصغر لا يخلد في النار، والشرك الأكبر يحبط الأعمال جميعًا، وأما الشرك الأصغر لا يحبط الأعمال جميعًا إلا في الرياء؛ فإنه يحبط العمل الذي وقع فيه الرياء .

**مسألة:** اختلف أهل العلم فيمن لقي الله على شيء من الشرك الأصغر، هل يدخل تحت

المشيئة كسائر الكبائر، أم أنَّ صاحبه لا بدَّ أن يعذب به ثم يدخل الجنة؛ على قولين :

(١) معجم المقاييس لابن فارس مادة (شَرَك).

**قال أصحاب القول الأول:** لا بد أن يعذب، واستدلوا بالعموم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] ، ووجه العموم أن: أن وما دخلت عليه تؤوّل بمصدر، ف﴿أَنْ يُشْرَكَ﴾، تؤوّل بـ(إشراكاً أو شركاً)، فيكون التقدير (إن الله لا يغفر شركاً به)، أو (إشراكاً به)، و(شركاً أو إشراكاً) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وعلى هذا قالوا: إن هذه الآية عامة في الشرّكين الأصغر والأكبر فالله لا يغفرهما لمن لقيه بهما، فأما صاحب الأكبر فيخلد به في النار، وأما صاحب الأصغر فإنه يعذب به ثم يخرج إلى الجنة .

**وقال أصحاب القول الثاني:** ما قرّرتوه من أن هذه الآية عامة حق بلا ريب ولكنها

من العام الذي أريد به الخصوص فهي عامة في الشرك ، ولكن يُراد بها خصوص الشرك الأكبر، ونظيرها قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣]، فـ(الناس) عامة ؛ لكن أريد بها خصوص الصحابة رضوان الله عليهم ويؤيد قولنا هذا ويقويه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَبْطِ عَمَلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فقوله: ﴿يُشْرِكْ﴾، وقوله: ﴿أَشْرَكَتَ﴾، فعلان مضمنان لمصدرين نكرتين في سياق الشرط يفيدان العموم، فهذان عمومان ولا ريب أنهما أريد بهما خصوص الشرك الأكبر، إلا لزمكم يا أصحاب القول الأول تخليد صاحب الشرك الأصغر في النار وإحباط عمله إعمالاً لهذا العموم، فماذا أنتم قائلون؟ فإن قالوا: التزمنا باللازم، قلنا لهم: إذن فما الفرق عندكم بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر؟

فإن قالوا: لا فرق عندنا بينهم، قلنا لهم قد فرقت الشريعة وإلا فلماذا جعلت أحدهما أصغر، بدليل: حديث النبي ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ»<sup>(١)</sup> رواه أحمد من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وبهذا ثبت وهاء مذهبهم، وإن قالوا هذان العمومان أريد بهما

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمته الله.

خصوص الشرك الأكبر، قال أصحاب القول الثاني: قولكم في هذين العمومين هو قولنا في العموم الذي أوردتموه، وثبت بهذا أن الراجح هو القول بأن الشرك الأصغر يدخل تحت المشيئة كسائر الذنوب والمعاصي .

قال الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الحصين رحمته الله في الدرر السنية (٢/ ١٨٥):  
(والشرك الأصغر: ذنب تحت المشيئة، كسائر الذنوب، بل هو أكبرها، لعموم قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وحديث: «أي الذنب أعظم»، ولكن لا يكفر مرتكبها ولا يخرج عن الملة الإسلامية، إذا لم يستحل فعلها).

قوله: (وذلك) الإشارة هنا إلى التخليص من شبكة الشرك.

قوله: (بمعرفة أربع قواعد) أي: أن هذه القواعد أساس في الخلاص من الشرك .

قوله: (ذكرها الله تعالى في كتابه)، مراده أن هذه القواعد الأربع مستخلصة من كتاب الله عجل وأنه لم يخترعها ولم يأت بها من عند نفسه، وإنما هي مقتبسة من كتاب الله عجل، هذا ما تتميز به مؤلفات الشيخ رحمته الله فإنه لا يذكر مسألة ولا يقرر تقريراً إلا وأعقبه بقوله: (والدليل قوله تعالى كذا وكذا)، فقد قرر رحمته الله الحق في كتبه تقريراً واضحاً مقروناً بما يؤيده ويشهد بصحته من الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء، فقد جدد رحمته الله ملة إبراهيم عليه السلام، وأحيا العلم وأحيا الاستدلال بالكتاب والسنة بعد اندراس كل ذلك ورحم الله من قال:

أئمة حق والنصوص طريقهم	وأحمد خريت الطريق وهاديا
على مذهب الخبر الإمام ابن حنبل	عليهم من المولى سلام يوافيا
عقائدهم سنية أجمع الملا	عليها خصوصاً تابعا وصحابيا
وأسلمها عقدا وأعلمها هدى	وأحكمها فاشدد عليها الأياديا
صرائح قرآن نصوص صريحة	ومن ردها دارت عليه الدواهي

## القاعدة الأولى

**المنن:** قال المصنف رحمته الله: (القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْرُونُونَ بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

**الشرح:** هذه القاعدة هي أولى القواعد التي ذكرها الشيخ رحمته الله، والتي يتبين بها الدين الذي كان عليه المشركون والدين الذي جاء به المرسلون، وفيها دفعٌ لشبهة عظيمة من أعظم شبهات القبوريين .

**أما الشبهة فهي:** أن الكثير من القبوريين والعابدين لغير الله يقولون لأهل التوحيد كيف تحكمون علينا بالشرك ونحن نُقَرُّ بأن الله هو الخالق الرازق المدبر...، وغيرها من أفراد الربوبية، فحرفوا بذلك معنى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ إلى (لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله)، وظنوا أن التوحيد الذي أراده الله من عباده هو توحيد الربوبية، وأن من جاء به مسلمٌ معصوم المال والدم، فأورد الشيخ رحمته الله هذه القاعدة ليُبين بطلان ما ذهبوا إليه، وليُقرّر الحق في هذه المسألة.

**وجه الرد:** أن يقال هؤلاء إن الكفار الذين قاتلهم رسول الله كانوا يقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، مع كونهم يعبدون الله بأنواع من العبادات.

فإن قلت فما الدليل على أن المشركين الأولين الذين قاتلهم رسول الله كانوا يقرّون بالربوبية؟ قلنا الأدلة على هذا كثيرة جدًا، منها ما ذكره الشيخ هنا وهو قول الله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، فقله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذه في إقرارهم بأن الله هو الرازق لهم وحده، وأن رزقه لهم من السماء المطر، ورزقه لهم من الأرض

النَّبات كُلُّهُ مِنْ حَبٍّ وَكَلْبٍ وَثَمَرٍ، وقوله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ هذه في إقرارهم بالله بأنَّه المالك لأسماعهم وأبصارهم والمتصرّف فيها وحده، وقوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ هذه في إقرارهم بالله بالخلق والإحياء والإماتة، وقوله: ﴿وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾ هذه في إقرارهم بأنَّ الله وحده هو الذي يدبّر جميع أمورهم، لأنَّ ﴿الْأَمْرَ﴾ مفرد معرّف يفيد العموم، فيدخل فيه أمر السماء وأمر الأرض وما فيهنّ، وأمر جميع الخلق، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ هذا جوابهم على جميع الأسئلة، فإنّهم لم يقولوا اللات، ولا العزى، ولا مناة، وإنّما أسندوا وأضافوا جميع ذلك إلى الله وحده، ولما كانوا مقرّين لله بذلك احتجّ الله عليهم بما أقرّوا به من الربوبية على ما جحدوه وأنكروه من الألوهية، فقال لهم: ﴿أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾، ومعنى ذلك أفلا تتقون الله فتوحّدونه في ألوهيته كما وحدتموه في ربوبيته، أو أفلا تتقون الشّرك بالله في ألوهيته وأنتم تعلمون أن لا شريك له في ربوبيته.

قال الطبري رحمته الله في تفسير هذه الآية: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، يقول جلّ ثناؤه: فسوف يجيبونك بأن يقولوا: الذي يفعل ذلك كلّ الله).

وقال ابن كثير رحمته الله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي وهم يعلمون ذلك ويعترفون به).

وقال الشنقيطي رحمته الله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾، صرّح الله تعالى في هذه الآية الكريمة، بأنّ الكفّار يقرّون بأنّهم جلّ وعلا، هو ربّهم الرزاق المدبّر للأمور، المتصرّف في ملكه بما يشاء، وهو صريح في اعترافهم بربوبيته، ومع هذا أشركوا به جلّ وعلا، والآيات الدّالة على أنّ المشركين مقرّون بربوبيته جلّ وعلا - ولم ينفعهم ذلك لإشراكهم معه غيره في حقوقه جلّ وعلا - كثيرة، كقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٨٤] سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ [٨٩]﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، إلى غير ذلك من

الآيات، ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، والآيات المذكورة صريحة في أن الاعتراف بربوبيته جلّ وعلا لا يكفي في الدخول في دين الإسلام، إلا بتحقيق معنى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ نفياً وإثباتاً.

وقال السعدي رحمته الله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من المذكورات).

ومن الآيات التي ذكر الله فيها إقرار المشركين له سبحانه بالربوبية قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَنْ يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ٨٩ ﴿المؤمنون: ٨٤-٨٩﴾، وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٦١ ﴿العنكبوت: ٦١﴾، وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القمان: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، فهذه الآيات كلها صريحة في الدلالة على إقرار المشركين بربوبيته سبحانه، وقد كان المشركون مع هذا الإقرار يعبدون الله تعالى ويتقربون إليه بأنواع العبادات، فمن ذلك أنهم كانوا يصلُّون، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وكانوا يصومون والدليل حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم (١١٢٥)، قالت: (كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية)، وكانوا يحجُّون ويطوفون بالبيت، حتَّى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ بَجَسٌ فَلَا



يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴿[التوبة: ٢٨]﴾، و في البخاري (٣٦٩) ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وفي مسلم (١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويلكم، قد قد» فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت، وكانوا يتعبدون الله بالنذر، والاعتكاف، والذبح، والدليل ما رواه البخاري (٢٠٣٢) ومسلم (١٦٥٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «فأوف بنذرك»، وجاء عند أحمد (٦٧٠٤) من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام بن العاصي نحر حصته خمسين بدنة، وأن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟ فقال: «أما أبوك، فلو كان أقر بالتوحيد، فصمت، وتصدقت عنه، نفعه ذلك»، وكانوا يطعمون الطعام، ويسقون الحجيج، ويعمرون بيت الله، والدليل قول الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]، وفي البخاري (١٤٣٦) ومسلم (١٢٣) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أرايت أموراً كنت أتحث بها في الجاهلية، من صلة، وعتاقة، وصدقة، هل لي فيها من أجر؟ قال حكيم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسلمت على ما سلف من خير»، وفي صحيح مسلم (٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»، كما كانوا يدعون الله ويخلصون له في الشدائد قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وغير ذلك من العبادات والقربات، كله لم يدخلهم في الإسلام، ولم يعصم أموالهم ودمائهم .

وبعد استعراض حال المشركين يبقى لأصحاب الشبهة أمران لا ثالث لهما:

**الأول:** أن يحكموا على أبي جهل، وأبي بن خلف، وأبي لهب، وأضرابهم بالإسلام، لأنهم كانوا يقرّون لله بالربوبية، ويكونوا بذلك مكذّبين للقرآن الكريم .

**الثاني:** أن يرجعوا عن باطلهم، ويعترفوا أن الإقرار بالربوبية لله وحده لا يكفي للدخول في الإسلام .

### من فوائد هذه القاعدة :

**الأولى:** أن التوحيد الذي أراده الله من العباد هو توحيد الألوهية، وهو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه وشاهده ﴿أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ولم يقل ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أني أنا الخالق الرازق المدبر المحيي المميت المصرف ... )، وإنما قال ﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾ .

**الثانية :** أن توحيد الربوبية لا يكفي في الدّخول في الإسلام، ولا يعصم المال ولا يعصم الدّم كذلك .

**الثالثة:** معرفة حقيقة دين المشركين الذي هو الإقرار لله بالربوبية مع الإشراك به في الألوهية .

**الرابعة:** معرفة حقيقة دين المرسلين الذي هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه .

**الخامسة :** خطأ من فسّر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ بـ (لا خالق لا رازق إلا الله)؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قال عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥]، مع أنّهم كانوا يقرّون بالربوبية فدلّ ذلك على أنّ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لها معنى آخر قد استكبروا عنه وهو (لا معبود بحق إلا الله) .

**خلاصة القاعدة:** أن دين المشركين الإقرار لله بالربوبية مع عبادة الله وعبادة غيره معه، فمن كان على هذا في أيّ زمان، وفي أيّ مكان فهو على دين المشركين شاء أم أبى، وأنّ دين المرسلين الإقرار لله بالربوبية، وإفراده بها مع عبادته وحده لا شريك له، فمن كان على هذا فهو على دين المرسلين، وقد حصل بهذه القاعدة - والله الحمد - كما هو ظاهر؛ التفريق بين دين المرسلين ودين المشركين .



## القاعدة الثانية

**المنن**، قال المصنّف رحمته الله: (القاعدة الثانية: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لَطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿[الزمر: ٣]، ودليلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةُ مَنْفِيَّةٍ، وَشَفَاعَةُ مُثَبَّتَةٍ، فَالشَّفَاعَةُ الْمُنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وَالشَّفَاعَةُ الْمُثَبَّتَةُ هِيَ: الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمُشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الْإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

### الشرح:

وهذه القاعدة إيرادها بعد القاعدة الأولى مناسبٌ جداً، ووجه ذلك أَنَّ الطَّالِبَ إِذَا دَرَسَ الْقَاعِدَةَ الْأُولَى وَتَقَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَقْرَأُونَ اللَّهَ سبحانه بِرَبُوبِيَّتِهِ، قَامَ فِي ذَهْنِهِ سَوْأَلٌ هُوَ: مَا الَّذِي جَعَلَ الْمَشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ؟ وَمَا السَّبَبُ الْحَامِلُ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ وَبَيَانُ هَذَا يَدْفَعُ شَبَهَةَ احْتِجَّ بِهَا الْقَبُورِيُّونَ وَالْخَرَّافِيُّونَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ.

**وشبهناهم هي:** أنّهم يبرّرون عبادتهم للأنبياء والأولياء والصالحين بأنّهم يريدون القربة من الله، ولكنهم مذنبون ومقصّرون، والصّالحون قرييون من الله، ولهم جاهٌ ومنزلةٌ عند الله !! وأنّهم يريدون شفاعَةَ الصّالحين لهم عند الله .

**وردُ هذه الشبهة:** أن يقال لهم : إنّ صنيعكم هذا هو عين صنيع المشركين الأوّلين، وهو الذي أوجب كُفرهم .

قوله: ( فليل القربة )، يعني أنّ الدليل على أن الأوّلين توجّهوا لغير الله بالعبادة يريدون بذلك القربة، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد العموم، وهو عامٌّ في المتّخذين، و﴿مِنْ دُونِهِ﴾: عامّةٌ في كلّ من سوى الله، وهي عامّةٌ في المتّخذين.

\* وهذه الآية فيها دليل على أنّ الأوّلين أعرف بمعنى العبادة من المتأخّرين؛ لأنّهم سمّوا ما يتوجّهون به إلى معبوداتهم عبادةً، والمتأخّرون يسمّونه توسّلاً أو محبةً للصّالحين .

### وفي هذه الآية عدة فوائد :

**الأولى:** أنّ الأوّلين يوحدون الله في ربوبيّته؛ لأنّهم بيّنوا السّبب الحامل لهم على عبادة غير الله بأسلوب الحصر، وهو: [الاستثناء المسبوق بالنفي]، وقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، أي لا لأنّنا نعتقد أنّهم ينفعون ويضرون، أو يرزقون أو يخلقون، بخلاف المتأخّرين فإنّهم يشركون بالله في ربوبيّته.

**الثانية:** فيها إبطال القاعدة الكافرة وهي: [أنّ الغاية تبرّر الوسيلة] ؛ ولو كانت القاعدة صحيحةً لصحّ عملهم، لأنّ نيّتهم كانت حسنةً، ولكنهم اتّخذوا وسيلةً هي أعظم الوسائل في إبعادهم عن نيل مقصودهم وهي الشّرك .

**الثالثة:** أنّ النية الحسنة لا تبرّر العمل السيّئ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ﴿فَمَا﴾: موصولة بمعنى (الذي) تفيد العموم، و﴿بَيْنَهُمْ﴾: أي بين المتخذين والمتخذين، وقيل: بين المشركين والموحدين .  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: فالله سُبْحَانَهُ وصف أصحاب هذا الاعتقاد بوصفين :

**الأول:** أنهم كذّبة، ووجه كذبهم أنهم اعتقدوا أن الله لا يوصل إليه إلا بواسطة تُعبد معه، ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

**الثاني:** أنهم كفّرة، ووجه كفرهم أنهم صرفوا العبادة لغير الله .  
قوله : ( ودليل الشفاعة ) أي: والدليل على أن الأولين توجّهوا لغير الله بالعبادة يريدون الشفاعة، قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨]، فهؤلاء صرفوا العبادة لغير الله، فإذا قيل لهم لماذا عبدتم غيره؟ فجوابهم ما ذكره الله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، فقد بين سُبْحَانَهُ أن صرف العبادة لغيره من أجل الشفاعة شرك، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَتَنْتِفُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وفي الآيتين من الفوائد:

١- إقرار المشركين بوجوده سبحانه، لقوله في الآية الأولى: ﴿لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، وقوله في الثانية: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ .

٢- بطلان عبادة كل من سوى الله، لأن كل من سوى الله لا يملك نفعاً ولا ضرراً، والمستحق للعبادة هو المالك لجلب المنافع ودفع المضار، وهو الله لا غيره.

**الشفاعة لغةً:** مأخوذة من الشَّفع وهو الزَّوج، لأنَّ صاحب الحاجة واحدٌ، فانضمَّ إليه غيره فصارا شفعا، فسُمِّيت شفاعةً (أي زوجًا) .

**الشفاعة في الشرع :** التوسُّط للغير في جلب منفعةٍ أو دفع مضرَّة .

**والشفاعة عند الخلق قسمان :**

٢ - **شفاعة سيئة .**

١ - **شفاعة حسنة**

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ۝٨٥ ﴾ [النساء: ٨٥]، ومراد الشيخ هنا الشفاعة عند الله .

قوله: (والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ : شَفَاعَةٌ مِّنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُّثْبِتَةٌ) .

**الشفاعة المنفية :** هي التي كان يعتقدونها المشركون بأنَّ غير الله يشفع استقلالاً، من دون

مراعاةٍ لشروط الشَّفاعة وقيودها، أو هي الشَّفاعة دون إذن الله ورضاه، ودليلها قولهم: ﴿ هَؤُلَاءِ

شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾، فجاءوا باسم الإشارة للتَّعيين، فعَيَّنوهم ونصبوهم شفعا دون اعتبارٍ لرضا

الله ﷻ وإذنه، والدَّليل على الشَّفاعة المنفية قوله تعالى: ﴿ وَلَا شَفْعَةً ﴾ ﴿ فـ ﴾ شَفْعَةً ﴿ نكرة في

سياق النَّفي تفيد العموم، فلو لم يُنزل الله آية سوى هذه الآية لكانت جميع الشفاعات منفية، ولكن

جاءت أدلة أخرى استثنت الشفاعة بعد الإذن والرضى من عموم هذا النَّفي .

**الشفاعة المثبتة :** هي التي يُراعى فيها شروط الشفاعة وقيودها، أو هي الشفاعة المتضمَّنة

لإذن الله ورضاه .

قوله تعالى: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

و ﴿ الْكَافِرُونَ ﴾ : هذا مبتدأ محصور في خبره الذي هو ﴿ الظَّالِمُونَ ﴾، والمعنى: لا أحد أظلم ممن

لَقِيَ الله كافرًا، وأتى بضمير الفصل ﴿ هُمْ ﴾ الدَّال على التَّوكيد، والمراد بقوله ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمْ

الظَّالِمُونَ ﴿١﴾: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَمْنَعَهُمُ الشَّفَاعَةَ ظَلَمًا مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ لَأَنَّهُمْ طَلَبُوا الشَّفَاعَةَ بِالشُّرْكِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»، متفق عليه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْكَفَّارِ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ

شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وَقَالَ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

### شروط الشفاعة:

**الأول:** الإذن، والدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿هَذَا اسْتِفْهَامٌ مُشَوَّبٌ بِالنَّفْيِ وَالتَّحْدِيدِ، وَالْمَعْنَى: ائْتُونِي بِأَحَدٍ يَشْفَعُ بِلَا إِذْنٍ، فَإِنَّهُ لَا أَحَدَ يَشْفَعُ إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ .

**الثاني:** الرضى عن الشافع، والدليل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ

شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرَضَى﴾ [النجم: ٢٦].

**الثالث:** الرضى عن المشفوع، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

\* والرضا الذي يُشترط هو: الرضى عن توحيدِهِ ومعتقدِهِ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه

البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لَمَا رَأَيْتُ

مَنْ حَرَصَكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ قَالَ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾،

خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»، والدليل على أَنَّ الشَّفَاعَةَ مِلْكُ اللَّهِ، قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ

جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وهذه الآية فيها فائدتان :

**الأولى :** أن الشفاعة ملكٌ لله، ومحصورةٌ ومقصورةٌ عليه، ووجه ذلك أن اللام في قوله ﴿لِلَّهِ﴾ للملك، فالله هو المالك للشفاعة دون من سواه، وقدّم الخبر الذي هو الجار والمجرور ﴿لِلَّهِ﴾، وآخر المبتدأ الذي هو ﴿الشَّفَعَةُ﴾، ومعلوم أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والقصر.

**الثانية :** أنّها أقسام .

فإذا ثبت أن الشَّفاعة ملكٌ لله، فإنَّ طلبها من غير الله شركٌ؛ لأنَّه طلبٌ لها ممَّن لا يملكها .

**سؤال :** إذا كان الله يريد أن يدخل زيدًا الجنة، أو أن يرفع درجته، فلم الشَّفاعة ؟

**الجواب :**

١ - أن يظهر جاهٌ وفضلٌ ومنزلةُ الشَّافع عند الله .

٢ - ظهور فضل الشَّافع على المشفوع فيه .

٣ - أنها إكرامٌ من الله ورحمةٌ وفضلٌ .

**فائدة :** للنبي ﷺ نوعان من الشَّفاعة :

**الأولى خاصة :** وتشمل :

١ - **الشفاعة لأهل الموقف** ، والدليل حديث ابن عمر رضي الله عنهما : «إن النَّاس يصيرون يوم القيامة جثًّا، كلُّ أمةٍ تتبع نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشَّفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» رواه البخاري.

٢ - **الشفاعة لأهل الجنة لدخولها** ، والدليل حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «أنا أوَّل النَّاس يشفع في الجنَّة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا» رواه مسلم.

٣ - **الشفاعة في عمه أبي طالب** ، والدليل في الصَّحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن عمه: «لعلَّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاحٍ من نار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه».

**الثانية الشفاعة عامة<sup>(١)</sup>**: وتكون له ولغيره من المؤمنين، وتشمل:

١ - **الشفاعة لرفع الدرجات** .

٢ - **الشفاعة لأهل الكبائر** .

والدليل قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(٢)</sup>.

٣ - **الشفاعة في خروج أقوام من الموحدين من النار** ، والدليل قوله ﷺ: «ثم تحلّ

الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة»<sup>(٣)</sup>.

**خلاصة القاعدة**: أن من دين المشركين التوجّه لغير الله بعباداتهم يرجون من ذلك الغير تقريبهم من الله والشفاعة لهم عنده، ومن كان على هذا من المتأخرين فهو على دين المشركين، وفيها أن دين المرسلين عبادة الله وحده، والتّوسل إليه سبحانه وطلب القرب منه بتوحيدهم وإيمانهم وأعمالهم الصالحة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] ، والوسيلة المأمور بابتغائها هنا هي: الإيمان والعمل الصّالح، وقد بين النبي ﷺ أن القرب من الله ﷻ يحصل بأداء الفرائض والنّوافل كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنّوافل حتّى أحبه»، وقال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ، فمن عبد الله وحده وتقرب إليه بالأعمال الصّالحة كان على دين المرسلين، وقد حصل بهذه القاعدة - والله الحمد - كما هو ظاهر؛ التّفريق بين دين المرسلين ودين المشركين .

(١) راجع معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (٢/ ٨٨٩ - ٩٠٦) ، ط. دار ابن القيم.

(٢) أخرجه أبو داود وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وجاء عن جابر ، وابن عمر وغيرهما وصححه الألباني رحمته الله .

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث جابر رضي الله عنه .



## القاعدة الثالثة

**المنن**، قال المصنف رحمته الله: (القاعدة الثالثة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظهر على أناسٍ متفرقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]، ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركون سدرية يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرية، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الإمام الألباني رحمته الله.



## الشرح:

هذه القاعدة فيها دفع **لشبهة** من أعظم شبهات القبوريين والخرافيين في قديم الدهر وحديثه، **وهي** : أنهم يحصرون الشُّرك في عبادة الأصنام !!! .

**ورد هذه الشبهة** : يكون باستعراض حال المشركين حين بعثة النبي ﷺ، فقد تنوّعت وتعدّدت معبوداتهم .

واستدلّ الشيخ على إبطال قاعدة الخرافيين : { أَنَّ الشُّرْكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ } بقتال النبي ﷺ لكافة المشركين وعدم تفريقه بينهم، وهذه حجة واضحة ظاهرة، وهي : أَنَّ النبي ﷺ اعتبر بصرف العبادة لغير الله دون نظرٍ لذلك الغير، وإلاّ لتوجّه لقتال من عبدوا الأصنام؛ ولكن لما قاتل الجميع علّم أنه سوىّ بينهم .

قوله : (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى) يعني : والدليل على أَنَّ النبي ﷺ قاتل جميع المشركين، ولم يفرّق بينهم، قوله تعالى : ﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾، وروى ابن جرير بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ يعني : حتى لا يكون شركٌ.

قوله : (وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ) أي : والدليل على أَنَّ بعض من بُعث فيهم النبي ﷺ كانوا يعبدون الشمس والقمر .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾، الشاهد في الآية قوله : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾، فمنهى الله تعالى عن السُّجود للشمس والقمر فدلّ ذلك على أَنَّ بعض من بُعث فيهم النبي ﷺ كانوا يعبدون الشمس والقمر، وإلاّ كان النّهي عبثاً، وكيف ينهى الله عن أمرٍ لا وجود له، ولا يكون، ودلّ على ذلك قوله ﷺ : «وحيثنّ يسجد لها الكفار»، رواه مسلم من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

## هذه الآية اشتملت على عدة فوائد :

**الأولى:** بطلان ألوهية الشمس والقمر لقوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ ، فدل على أنّهنّ من جملة المخلوقات والمخلوق لا يستحقّ أن يعبد .

**الثانية:** في قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ، حصر العبادة في الله، ووجه الحصر : أنّه قدّم المفعول ﴿إِيَّاهُ﴾ على الفعل والفاعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾ .

**الثالثة:** أنّ من توجّه بالسجود للشمس والقمر فقد عبدهما، ومن توجّه بالسجود لله فقد عبده .  
فنقول لأصحاب الشبهة : ماذا تقولون فيمن عبد الشمس والقمر ؟

## فلهم جوابان لا ثالث لهما:

**الأول:** أن يحكموا لهم بالإسلام ويكونون بذلك قد كذبوا القرآن .

**الثاني:** أن يحكموا عليهم بالكفر ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأن الشمس والقمر ليس بأصنام .

قوله : (ودليل الملائكة) أي: والدليل على أن بعض من بُعث فيهم النبي ﷺ كانوا يعبدون الملائكة .

قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ،  
أرباباً : أي معبودين، فسَمَّى الله تعالى : من اتَّخذ الملائكة والنبيين أرباباً؛ كافراً، فمن اتَّخذ غيرهم كان أشدَّ كافراً، لماذا ؟ لأنَّ الملائكة والنبيين أقرب المخلوقات إلى الله، فإذا بطلت عبادتهم فبطلان عبادة غيرهم من باب أولى .

فنقول لأصحاب الشبهة الذين حصروا الشُّرك في عبادة الأصنام: ماذا تقولون فيمن عبد الملائكة والنبيين ؟

## لهم جوابان لا ثالث لهما :

**الأول:** أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذّبين للقرآن، لأنّ الله كفّرهم وهم يحكمون بإسلامهم .

**الثاني:** أن يحكموا عليهم بالكفر ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأن الملائكة والنبیین ليسوا بأصنام .

قوله : (ودليل الأنبياء ) أي : والدليل على أن بعض من بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يعبدون الأنبياء .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ۖ﴾ الاستفهام لطلب التّعيين، والمعنى : أنت الذي قلت لهم ذلك؟ أم أنّهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم .

## وهذه الآية فيها إبطال ألوهية عيسى عليه السلام وأمه من وجوه :

**الأول:** قوله تعالى : ﴿يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾، فوصفه وناداه بالبنوة لمريم، والإله لم يولد، والإله لا يلد .

**الثاني:** قوله تعالى : ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ ۖ﴾، ولم يقل : واتّخذوني ومريم، وذلك ليثبت أنّ له أمّا، وأنّه مولودٌ فلا يستحقُّ أن يكون إلهاً .

**الثالث:** قوله تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۖ﴾، دليل على عجزه وضعفه وقصوره، والذي يستحقُّ أن يُعبد هو الذي لا يخفى عليه شيءٌ، لذا قال عيسى عليه السلام ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ۖ﴾ .

**الرابع:** قوله تعالى : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ﴾، فهو مربوبٌ، والمربوب لا يُعبد وإنّا الذي يستحقُّ أن يُعبد هو الربُّ .

**الخامس:** قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، وفي هذا دليل على عجزه، فالذي يستحق العبادة هو العالم بكل شيء، والذي لا يخفى عليه شيء.

فإن قيل فما الفائدة من هذا السؤال ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ لعيسى عليه السلام؟

الجواب : الفائدة زيادة إقامة الحجّة على النصارى .

**فنفي عيسى عليه السلام هذا القول بأبلغ أنواع النفي وذلك من وجوه:**

**الأول:** قوله تعالى : ﴿سُبْحَنَكَ﴾ أي: أنزهك عن الشركاء .

**الثاني:** قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾، ولم يقل : لم أقله ؛ لأنّ قوله : لم أقله، نفْيٌ لصدور هذا القول منه فيما مضى، أما قوله : ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾، نفْيٌ له فيما مضى وفي الحاضر وفي المستقبل .

**الثالث:** قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾، فعلم الله بأنه قد قال متنفٍ ولذا انتفى القول .

**الرابع:** قوله تعالى : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَّا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾، فنفي جميع الأقوال المغايرة - المخالفة - لما أمره به، ويدخل في جملة ذلك هذه المقالة، وحصر دعوته فيما أمر الله به، ولم يتجاوز ذلك، ووجه الحصر [الاستثناء المسبوق بالنفي] .

**سؤال :** وهل أمر الله نبيّاً من الأنبياء أن يقول للناس اعبدوني ؟

**الجواب :** لا، والدليل قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وقوله تعالى : ﴿وَسَأَلَ مَن أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] .

\* واختيار الشيخ لنبي الله عيسى عليه السلام من سائر الأنبياء عليهم السلام إلزام لأهل الباطل والشرك والكفر، فأراد الشيخ أن يقول لهم هؤلاء النصارى عبدوا عيسى، فكان ذلك من أسباب كفرهم، فهل عيسى عليه السلام صنم؟ أم أن عبادتهم له لم تضرهم؟ وعلى هذا فنقول لمن حصر الشرك في عبادة الأصنام ماذا تقول فيمن عبد عيسى عليه السلام؟ .

### لهم جوابان لا ثالث لهما :

**الأول:** أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذّبين للقرآن.

**الثاني:** أن يحكموا عليهم بالكفر، ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأن عيسى عليه السلام ليس بصنم.

قوله: (ودليل الصالحين) أي : والدليل على أن بعض من بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعبدون الصالحين .

قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾، فقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الإشارة هنا للمعبودين، وقد جاءت قراءة أخرى مفسرة وهي : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾، وقوله تعالى : ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ هذا هو الدليل على صلاحهم؛ لأن من خاف عذاب الله ورجا رحمته فإن رجاءه يدفعه لعمل الصالحات، وخوفه يردعه عن المحرمات، ومن كان كذلك فلا شك في صلاحه .

### سبب نزول هذه الآية :

قال البخاري رحمته الله : حدثنا بشر بن خالد، أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه، في هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: «كان ناس من الجن يُعبدون فأسلموا»، وفي رواية عند مسلم: قال: «كان نفر

من الجنّ أسلموا، وكانوا يُعبدون، فبقي الذين كانوا يعبدونهم على عبادتهم، وقد أسلم النّفر من الجنّ، وفي رواية عند مسلم : عن قتادة، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: نزلت في نفرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجنّ، فأسلم الجنّيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت.

\* ويظهر من سبب النزول أنّ الحيّ من العرب لما عبدوا الجنّ في حال كفرهم كانوا كفارًا، ولما عبدوهم في حال إيمانهم كانوا كفارًا أيضًا، فدلّ ذلك على أنّ العبرة بصرف العبادة لغير الله دون نظر لذلك الغير .

فيقال لأصحاب الشبهة الذين حصروا الشّرك في عبادة الأصنام، ماذا تقولون فيمن عبَدَ الجنّ؟

### لهم جوابان لا ثالث لهما :

**الأول:** أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذّبين للقرآن.

**الثاني:** أن يحكموا عليهم بالكفر، ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأنّ الجنّ ليسوا بأصنام.

قوله: ( ودليل الأشجار والأحجار ) أي: والدليل على أن بعض المشركين كانوا يعبدون

الأشجار والأحجار .

قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾

اللّات : صخرة      والعزّى : شجرة      ومناة : صخرة

**الشاهد من الآية :** أنّ الله عزّ وجلّ ذكر الأشجار والأحجار وساقها مساقًا واحدًا؛ فعُلم من هذا أنّ

من توجّه بالعبادة للحجر كان كمن توجّه بها للشّجر، وكمن توجّه بها للبشر، أو للشمس أو للقمر، فالجامع بين هؤلاء التوجّه بالعبادة لغير الله وصرّفها لغير مستحقّها.

قوله: ( وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء) الحديث.

**نص الحديث:** أخرجه الترمذي في الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٢١٨٠)، ولفظه:

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواطٍ يعلّقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله!!، هذا كما قال قوم موسى ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿﴾ والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم».

قوله: (عن أبي واقد الليثي)، اسمه الحارث بن عوف، قوله: (خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفر)، هذا اعتذار منهم لما صدر منهم هذا الفعل، وقوله: (وللمشركين سدرة يعكفون عندها)، والعكوف هو ملازمة الشيء على وجه التعبد، وقوله: (وينوطون)، أي يعلّقون، وقوله: (يقال لها ذات أنواط)، أي ذات التعاليق.

### فهنا صورنان:

**الأولى:** موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨].

### الثانية: النبي صلى الله عليه وسلم مع مُسلمة الفتح.

ففي الصورة الأولى قال تعالى: ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾، وفي الصورة الثانية (وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم)، فقوله: ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾، صريح في أنهم يملكون هذه الأصنام، وفي الثانية (وللمشركين سدرة) صريح أيضًا في أنهم يملكون هذه الشجرة، وفي هذا دليل على سخافة عقول المشركين لأنهم عبدوا ما يملكون،



والمملوك لا يُعبد، والذي يستحقُّ العبادة هو الله المالك لكلِّ شيءٍ، قال سبحانه: ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣]، قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقد ردَّ الله تعالى عليهم في عبادتهم لما يملكون بقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٢٨] بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَيْتُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٢٨-٣٠].

وفي الصورة الأولى: ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وفي الصورة الثانية قالوا يا رسول الله: (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)، بيّن النبي ﷺ أن مُسْلِمَةَ الْفَتْحِ تابَعُوا سَنَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذَا، وَسَوَّى بَيْنَ طَلَبِهِمُ لِلشَّجَرَةِ وَطَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلْأَصْنَامِ، فَعُلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالتَّوَجُّهِ وَالْعِبَادَةِ، فَمَنْ تَوَجَّهَ بِعِبَادَتِهِ لِلشَّجَرِ فَقَدْ عَبْدَ الشَّجَرَ، وَمَنْ تَوَجَّهَ بِهَا لِلْحَجَرِ فَقَدْ عَبْدَ الْحَجَرِ وَهُمَا سَوَاءٌ، لِأَنَّ كِلَاهُمَا صَرَفٌ لِلْعِبَادَةِ لِغَيْرِ مُسْتَحَقِّهَا، وَوَضَعُهَا فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا، وَفِيهِ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْمَعَانِي وَالْحَقَائِقِ لَا بِالْأَسْمَاءِ، فَيَقَالُ لِمَنْ حَصَرُوا الشَّرْكَ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ: مَا قَوْلُكُمْ فِيمَنْ تَوَجَّهَ بِالْعِبَادَةِ لِلشَّجَرِ؟.

### لهم جوابان لا ثالث لهما:

**الأول:** أن يحكموا لهم بالإسلام، ويكونون بذلك مكذِّبين للقرآن.

**الثاني:** أن يحكموا عليهم بالكفر، ويكونون بذلك قد نقضوا قولهم، لأنَّ الشَّجَرَ ليس بأصنام.

**خلاصة القاعدة:** أن دين المشركين تنوع وتعدد من يتوجهون إليه بعبادتهم، وشاهد هذا قوله

تعالى: ﴿وَقَالُوا ءِالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا ءِالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [٣٦] [الصافات: ٣٦]، وأنَّ دين المرسلين توحيد المعبود، وأنَّهم يتوجهون بعبادتهم لواحدٍ، وهو الله وحده لا شريك له ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ



﴿١٩﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾

[الأنبياء: ١٠٨]، ﴿إِنَّ إِلَهُكُمُ لَوَاحِدٌ﴾، فتلخص بهذا أن من عبد الله وحده ولم يعبد معه غيره فهو على دين المرسلين، ومن عبد الله وعبد معه غيره كان على دين المشركين شاء أم أبى، وقد حصل بهذه القاعدة - والله الحمد - كما هو ظاهر؛ التفريق بين دين المرسلين ودين المشركين .

## القاعدة الرابعة

**المنن** ، قال المصنّف رحمه الله : (القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرّخاء ويخلصون في الشّدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرّخاء والشّدة، والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]).

### الشرح:

وهذه القاعدة مأخوذة من عموم ما سبق، فإنّ الذي يفهم ما مرّ تتّضح له هذه القاعدة غاية الوضوح، وهي: ( أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين )، ومن فقه الشيخ رحمه الله أنّه آخر هذه القاعدة، إذ لو قدّمها لاستعظمها الناس .

**ثم ذكر أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين وذلك من وجوه :**

**الأول:** أن المشركين الأولين يشركون في الرّخاء ويخلصون في الشّدة، وأما مشركو زماننا فشركهم دائماً في الرّخاء والشّدة؛ بل يكونون أشدّ شركاً في الشّدة .

**الثاني:** أن المشركين الأولين يوحدون الله في ربوبيّته، ويشركون به في ألوهيّته، وأما مشركو زماننا فشركهم في الربوبيّة والألوهيّة .

**الثالث:** أنّ المشركين الأوّلين أعرف بمعنى العبادة من المتأخّرين، لأنهم سمّوا ما يتوجّهون به لغير الله عبادة، والدليل قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، وأمّا المتأخّرون فيسمّون عبادة غير الله توسّلاً ومحبةً للأنبياء والأولياء والصّالحين، إلى غير ذلك من تسمية الشّيء بغير اسمه.

**الرابع:** أنّ المشركين الأوّلين أعرف بمعنى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ من المشركين المتأخّرين .

**الخامس:** أنّ المشركين الأوّلين لم ينكروا من الأسماء والصفات إلا (الرحمن)، وإنّما أنكروه مكابرةً، وإلّا فقد جاء في أشعار الجاهليّين ما يدل على أنّهم كانوا يقرّون به، وأمّا مشركو زماننا فأنكروا جُلّ الأسماء والصفات .

**السادس:** أنّ المشركين الأوّلين عبدوا الملائكة والأنبياء والصّالحين، وهؤلاء لا شكّ في صلاحهم وقربهم من الله، وعبدوا الأحجار والأشجار وهذه لا تعصي الله؛ بل تسبّحه وتعبده والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وأمّا مشركوا زماننا فعبدوا الفسقة؛ بل الكفرة.

### خلاصة القاعدة:

أنّ دين المشركين الإخلاص لله عند الشّدة، والشّرك به في حال الرّخاء. فكيف بمن أشرك به سبحانه في حال الرّخاء والشّدة؟ كما هو حال الكثير من النّاس اليوم؛ بل وكيف بمن كان شركه في الشّدة أشدّ؟.

ودين المرسلين الإخلاص لله في كل حال؛ في الرّخاء والشّدة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [١١] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٢] [الزمر: ١١-١٢]، وقد حصل بهذه القاعدة - والله الحمد - كما هو ظاهر؛ التفريق بين دين المرسلين ودين المشركين .

قال الشيخ رحمته الله: ( تَمَّتْ وَصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ )

( تَمَّتْ ): أي اكتملت القواعد الأربع، ( وَصَلَى اللهُ ) : قال أبو العالية : ( صلاة الله : ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء )، أخرجه البخاري عند حديث رقم (٤٧٩٧)، وصلاة الملائكة الدعاء للمؤمنين والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه، ما لم يُحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والدليل على أن الصلاة في اللغة تعني الدعاء، قوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣) [التوبة: ١٠٣] قال ابن كثير رحمته الله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ ادع لهم واستغفر لهم).

وقوله: ( وَآلِهِ ) إذا أتت مفردة -أي لم تقرن بالأتباع- فمعناها: المؤمنين عامة من بعثته إلى قرب قيام الساعة، وأما إذا أتت مقترنة بـ ( صَحْبِهِ ) صار معنى ( آلِهِ ) المؤمنين من قرابته -يعني آل بيته -.

آل النبي هم أتباع ملته  
على الدين من عجم و من عرب  
لو لم يكن آله إلا قرابته  
صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

\* **الصابي**: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على ذلك وإن تحللت ردة.

\* **الناصي**: من لقي صحابياً، ومات على الإيمان.

\* **المخضر**: من أدرك زمان النبوة، وأسلم ولم يلق النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: ( وَسَلَّمَ ) أي من النقائص والعيوب كما قال تعالى: ﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠) وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الصفات: ١٨٠]، فالسلامة للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره تطلب من الله، ومن هنا يتبين خطأ من يزيد: ( وإليك السلام ) من وجهين:

**الأول**: فيه نسبة النقص والعيوب إلى الله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل هو المسلم لعباده من المهالك والآفات والشرور، والسلام يُطلب منه ولا يطلب له، فقد بَوَّب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله في كتابه

الفريد التوحيد؛ (باب لا يقال السلام على الله)، وأورد تحته حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين: قال كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، قلنا: السَّلام على الله من عباده، السَّلام على فلانٍ وفلانٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا السَّلام على الله، فإن الله هو السَّلام»، قال الشيخ سليمان ابن عبد الله رحمته الله في تيسير العزيز الحميد (ص ٥٦٢): (لما كان حقيقة لفظ الإسلام السَّلامة والبراءة والخلاص والنَّجاة من الشر والعيوب، فإذا قال المسلم: السَّلام عليكم؛ فهو دعاء للمُسَلَّم عليه، وطلبٌ له أن يسَلِّم من الشر كله، والله هو المطلوب منه لا المطلوب له، وهو المدعو لا المدعو له، وهو الغنيُّ له ما في السَّموات وما في الأرض، استحال أن يُسَلِّم عليه سبحانه وتعالى، بل هو المُسَلَّم على عباده كما قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وقال: ﴿وَسَلِّمُوا عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٨١] [الصافات: ١٨١]، وقال: ﴿تَحِيَّاتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، فهو السَّلام ومنه السَّلام لا إله غيره ولا ربَّ سواه).

**الثاني :** عدم ثبوت هذا اللفظ في السُّنة، والثَّابت في السُّنة ليس فيه هذه الزيادة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلَّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللَّهُم أنت السَّلام ومنك السَّلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»، رواه مسلم.

وختاماً فإنِّي أوصي طلاب العلم بكتب هذا الإمام، لاسيما كتبه في تقرير التَّوحيد، قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدرر (١/ ١٥٨): (ولا تستطَلِّ ما قرَّره هذا الإمام الجليل، في هذا الأصل الأصيل، الذي بعثت الرُّسل، وأنزلت الكتب، وجردت السُّيوف من أجله، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فلقد أجاد وأفاد، ووضَّح معتقد السَّلف الصَّالح بعد أن باد، وأرعى عنان يراعِهِ، فأبدى وأعاد، حتى قلع الشُّرك من نجدٍ بعد أن شاد، وأطد الإسلام فاستضاء به الحاضر والباد، وسيمرُّ بك - إن شاء الله - ما يثلج الصَّدر، من محض الحقِّ، وصريح الدِّين، الذي لا يمازجه دين الجاهليَّة).

تم الشرح والحمد لله رب العالمين

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ